المحاضرة رقم: 04

السيميولوجيا

قد ظهرت "السيميولوجيا" مع البنيوية تقريبا، ولتحديد معناها يواجهنا ازمة المصطلح ودلالاته، وذلك لتعدد المصادر الثقافية.

فالمدرسة الفرنسية تتبع تقاليد مدرسة "جنيف" بقيادة "دي سوسير" وتطلق على هذا النوع من الدراسات اسم "السيميولوجيا".

والمدرسة الأنجلوسكسونية يتبعون مدرسة "ش،س.بيرس"، ويستعملون مصطلح "السيميوتيك".

أما النقاد والباحثون العرب، فهم يتوزعون على ثلاثة اتجاهات هي:

-الأول: يستعمل مصطلح "السيميولوجيا" وذلك للتقرب من مصادر الفكر النقدي الجديد فيصنع مصطلحات تتواءم مع التقاليد العربية القديمة، وتوظيف الإشارات اللغوية ليتم التواصل العلمي مع البيئة العربية العلمية.

-الثاني: يستعمل مصطلح "السيميوطيقا" معتمدا على المصادر الانجلوسكسونية وذلك أن المصطلح خضع لنفس عمليات التعريب التي كانت تحدث لمصطلحات أجنبية أخرى ككلمة "البيوطيقا" التي تعمل معنى "الشعرية".

-الثالث: يستعمل مصطلح "السيمياء"، ويشتق منها "السيميائية"، وقد حصلوا على هذا المصطلح أثناء بحثهم في التراث العربي عن الكلمات التي تملك الدلالة المشابهة تقريبيا مع العلم الحديث، وهذا مع العلم ان مصطلح السيمياء في التراث العربي كان مقترنا بالكهنة والسحر، وكذلك كان لكلمة سيمياء بالمفهوم الأرسطي معنى اقتفاء الأثر، وغير ذلك من المعاني.

لكن النقاد المغاربة تقريبا اجمعوا على اختيار مصطلح"السيمياء" كمصطلح بديل عن المصطلح الأجنبي.

أ.د سعدية بن ستيتي

وقد ازدهر مصطلح"السيميولوجيا" في الأوساط العربية في فترة السبعينيات عندما حدث ذلك التعتيم حول البنيوية، فآثر النقاد المغاربة استعمال المصطلح "سيميائية" تيقنا منهم لتقبل البيئة الفكرية العربية لهذا النوع.

الدراسات النقدية، وأيضا تيسير للمتلقين من ناحية سلاسة المصطلح. تحدثنا عن المصطلح، والآن ما هي السيميولجيا؟

لقد درس "دي سوسير" العلامة اللغوي، ووضح خواصها الأساسية وهي ندرج في منظومة اكبر هي العلامات بصفة عامة سواء كانت لغوية أو غير لغوية (سمعية وبصرية)، ولما تطرق "دي سوسير" إلى الثنائيات الثلاث: (الدال/ المدلول)(اللغة/الكلام)، (السانكرومية/الديانكرونية) والمحاور الاستبدالية والتركيبية والعلاقة الاعتباطية.

وفي الوقت ذاته كان الباحث"ش.س.بيرس" هو الآخر يؤسس للسيميولوجيا عندما حلل العلامات المختلفة تقوم العلاقة فيها يسن ثلاثة أطراف هي : الدال المدلول والأيقونة، هذه الأخيرة التي تدل على الصورة الدالة على متصور، مثل صورة السيارة في إشارة المرور، فالأيقونة تشبه ما تشير إليه، والعلاقة بينهما تكون علاقة تخيلية، فلا يمكن أن نفهم العلاقة الأيقونية ما لم نكن قد وعينا من قبل نظيرها المشابه لها.وقد تحدث أيضا عن الرمز ونموذجه الأول في ذلك هو الكلمة اللغوية، وهو في ذلك يربط بين الكلمة ودليلها الخارجي، والعلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة اعتباطية تتم بالصدفة وليست علاقة سببية، وهي تكتسب بعد ذلك بأثر رجعي.

وقد ذهب "اميرتو ايكو" إلى اعتبار أن العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة قابلة للكذب، فما يقبل الكذب علامة وما لا يقبل ليس بعلامة، وقابلية الكذب تعني قابلية الصدق لأنه قريب وبديله، فالعلامة هي كل ما يشير إلى غيره سواء كانت حقيقة طبيعية أو مصنعة من الإشارات الطبيعية، فالدخان يدل على وجود النار والسحاب قد يعد بالإمطار.

الدرس السيميولوجي يعتمد العلامات الثقافية كموضوع للدراسة، مثل توظيف الإشارات اللونية والخطوط المختلفة، ففي قانون المرور يلعب اللون الأحمر دورا هاما في منظومة العلامات، وكذلك الأمر فيما يتعلق بعلامات المأكل والملبس وغيرها.

أ.د سعدية بن ستيتي

انتشرت السيميولوجيا كثيرا في دوائر الأدب والفن والثقافة، فالعلامات تختلف في دلالتها من ثقافة إلى أخرى، وإذا كان "دي سوسير" قد رأى أن علم اللغة جزء من منظومة كلية هي السيميولوجيا، فان "رولان بارث" وهو احد تلامذته قد عكس هذه العلاقة باعتباره أن أكمل نظام سيميولوجي ابتدعه الإنسان إنما هو اللغة، وان كل النظم الأخرى لا تستغني عن اللغة وتعتمد عليها في كل دلالاتها، سواء صراحة أو تضمينا، فاللغة هي النموذج السيميولوجي الأكمل، بل ويعتبر "روان بارث" السيميولوجيا فرعا من فروع الدراسات اللغوية.

وقد تحدث "رومان جاكسون" عن علاقة السيميولوجيا بالنقد عن طريق حديثه عن عمليات التواصل الثقافي والاجتماعي وفق العناصر الستة المتعلقة بعملية التواصل الثقافي والاجتماعي وفق العناصر الستة المتعلقة بعملية التواصل وهي(السياق–الرسالة–المرسل–المرسل اليه–قناة اتصال–شفرة).

وقوم السيميولوجيا على مجموعة من المصطلحات منها: العلامة، التبادل، التركيب، الشفرة.

1–العلامة: تتكون من دال ومدلول عند"دي سوسير" والدال هو الصورة الصوتية والمدلول هو المفهوم، بينما تكون عند "بيرس" من دال ومدلول، وصورة نهائية تربط بين الدال والمدلول.

2–التبادل: ان إشارة قبل ظهورها، في الأصل هي توجد في شفرتها كجزء من قائمة تبادلية أي من نظام العلاقات التي تربطها من خلال التشابه أو الاختلاف فف اللغة مثلا: ترتبط الكلمة تبادليا مع المترادفات والمتضادات، والكلمات الأخرى من الجذر نفسه، والكلمات التي تشبهها صوتيا وهكذا.

كذلك الأثر بالنسبة للصور من استعارات وكنايات وتورية فهي تخضع ايضا للتبادل.

3–التركيب: وهو يتعلق بعلاقة الكلمات بعضها ببعض داخل مقطع كلامي معين وذلك يشبه النحو تمام.

4–الشفرة: نقول الشفرة (شفرات) أو سنن، لقد كان في القديم يعتقد الناس ان ظاهرة البرق هي علامة يصدرها شخص متسلط يعيش في الجبال، لكن فيما بعد علم الناس ان البرق هو ظاهرة كهربائية طبيعية، وهنا نقول ان شفرة علمية حلت محل شفرة أسطورية، وعلى هذا الأساس فان الشفرة هي ما يملكه الفرد نظام فكري حول حدث ما أو شيء ما.

أ.د سعدية بن ستيتي

ولكل جنس أدبي شفراته الخاصة التي يوظفها، فالشعر مثلا يوظف النظم الإيقاعية وأنماط التصوير في التخيل الشعري كشفرات خاصة به.

والمسرح يوظف شفرات إيحائية أو لغوية مرتبطة بحركات الفعل الإنساني قولا وفعلا، وحتى حركة السرد ترتبط بالزمان والمكان والفواعل.

ويشبه مفهوم الشفرة مفهوما يندرج هو الأخر في الدراسة السيميولوجية وهو مصطلح التناص من خلال إحلال معنى على غرار معنى سابق أي تحوير شفرة نص سابق إلى شفرة أخرى، ودراسة شفرات النصوص وتحليل مستوياتها تعتبر لب الدراسة النقدية المعاصرة .

أن الدرس السيميولوجي لم يكتف بمجال واحد كالدراسات الأدبية وحسب بل تعداها إلى مختلف المجلات في الحياة، كالفنون التشكيلية والفنون المسرحية، والسينما، والإشهار وغيرها...

المراجع:

- أمينة رشيد: السيميوطيقا في الوعي المعرفي المعاصر، ضمن كتاب: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة للمؤلفين: سيزا قاسم–نصر حامد أبو زيد، دار العالم العربي، القاهرة، 1986.
- برنار توسان: ماهي السيميولوجيا، تر: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء–المغرب، 2000.
- جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، ط2، الدار البيضاء/المغرب، 1997.
- حنون مبارك: دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء/المغرب، 1987.
- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص–عربي إنجليزي– فرنسي، دار الحكمة، ط1، الجزائر، 2000.
- رولان بارث: المغامرة السيميولوجية، تر: عبد الرحيم حزل، دار تينمل للطباعة والنشر، ط1، مراكش–المغرب، 1993.
- رولان بارث: درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العال، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، ط3، الدار البيضاء/المغرب، 1993.
- سيزا قاسم: السيميوطيقا: حول بعض المفاهيم والأبعاد، مقال ضمن كتاب: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السميوطيقا، إشراف: سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، مقالات ودراسات مترجمة، دار إلياس العصرية النشر، دار العالم العربي، القاهرة، 1986.
- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1996.
- عبد الواحد مرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب، من أجل تصور شامل، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، ط1، الجزائر/لبنان/الرباط، 2010.
- مارسيلو داسكال: الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، تر: حميد الحميداني وآخرون، إفريقيا الشرق، ط1، الدار البيضاء/المغرب، 1987.

أ.د سعدية بن ستيتي

- محمد الداهي: سيمياء الكلام الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، بدعم من وزارة الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 2006.
- محمد السرغيني: محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء/المغرب، 1987،
- Ferdinand De Saussure : Cours de linguistique générale. Edition : Talantikit, Béjaia, Algérie, 2002.

أ.د سعدية بن ستيتي